الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: اكتوبر
التاريخ: ١٩٨٣/٣/٢٠

فى رسالة دكتوراه..

السادات جعل من الإعلام أوركسترا للسلام

الرئيس الراحل السادات.. كان رجل دولة واعلام فى وقت واحد.

د. سيد سلامة

هل كان الرئيس الراحل أنور السادات رجل إعلام من الطراز الأول؟. من المؤكد أنه كان يملك قدرة فائقة على الإقناع والإمتاع فى وقت واحد. ومن المؤكد .كذلك أن العالم كله قد انبهر بالسادات مرتين.. مرة عندما حارب وكسب المعركة فى الحرب والسلم، ومرة أخرى عندما عرفه العالم محدثا بارعا فانكشفت براعته فى الإعلام وفى السياسة معا.

ولقد سبق الرئيس الراحل السادات أناس آخرون رؤساء وملوك. حاول كل منهم كسب ود شعوبهم وشعوب غيرهم. إن الرئيس الأمريكى الاسبق روزفلت كان بارعا هو الآخر فى التأثير على الرأى العام؛ وكان «حديث المدفأة» الذى وجهه روزفلت إلى الشعب الأمريكى «رباط المحبة» بينه وبين شعبه. حتى إنهم لقبوه بأنه أكبر صانع للأخبار.

أما الرئيس السادات فقد كانت سياسته فى مجال الإعلام لها شكل خاص انبهر به العالم كله، كما انبهرت بهذه السياسة السيدة نوال الصفتى لدرجة أنها أعدت رسالة دكتوراه عنوانها «المقومات الإعلامية عند السادات بالنسبة لسياسة مصر الخارجية فى الفترة من سبتمبر ١٩٧٠ إلى أبريل ١٩٧٧». وقد منحت لجنة الحكم على الرسالة المكونة من الأستاذ الدكتور محمود نجيب أبو الليل المشرف وعضوية كل من الأستاذ الدكتور سمير حسين عميد كلية الإعلام والأديب والكاتب انيس منصور درجة الدكتوراه فى الإعلام بمرتبة الشرف الأولى. أما لماذا اختارت الباحثة هذا الموضوع بالذات. فإنها تقول :

إن تجربة السادات الإعلامية تجربة فريدة فى نوعها، ولم تلق حتى الآن ما تستحقه من دراسات أكاديمية وأبحاث منهجية. لذلك كان الهدف من البحث هو محاولة شغل هذا الفراغ فى مجال الدراسات الإعلامية المعاصرة. وخاصة أن الإعلام الخارجى يلعب دورا خطيرا ليس على مستوى الصورة الأدبية والمعنوية فحسب. بل على مستوى الصورة المادية التى ترتبط بالاقتصاد والسياسة والاجتماع وغير ذلك من العناصر التى تؤثر على حياة المواطن العادى بصورة مباشرة. ولذلك فإن الصورة الإعلامية الخارجية لدولة ما هى فى حقيقتها عملة رائجة يستخدمها رئيس الدولة فى جلب المنافع لبلده. وتحقيق مصالحها وأهدافها. وقد أدرك السادات هذه الحقيقة. ولذلك ركز على صورة مصر الخارجية منذ توليه الحكم. ذلك أن وسائل الإعلام تلعب دورا هاما فى العلاقات الدولية، بحيث أصبح رؤساء الدول يحاولون التأثير فى

الرأى العام العالمى ولا يقتصرون على التأثير فى الرأى العام المحلى فى داخل بلادهم. وهم بذلك يسعون الى تقديم صورة مشرفة لبلادهم حتى يتعاملوا مع الدول الأخرى على أساسها.

ولقد أوضح البحث كيف استخدم السادات الإعلام سلاحا لتدعيم سياسته الخارجية، بحيث كان يمهد للقرار الذى يصنعه بنفسه بعد ذلك. ثم يدعمه إعلاميا لتوضحيه وشرحه. حتى بدا فى أحيان كثيرة رجلا إعلاميا من الطراز الأول. لدرجة أن دوره السياسى وريادته الإعلامية كانا وجهين لعملة واحدة تتمثل فى إنجازه التاريخى الكبير. ومن هذا المنطلق اتجه البحث إلى تحليل وتحديد مدى إسهام السادات فى عملية الإعلام التى كانت لازمة وضرورية لمؤازرة التغيير العسكرى والسياسى الذى قرر إحداثه خاصة أنه كان فى مركز يسمح له برسم سياسة الدولة. وفى الوقت ذاته يعكس اتجاهات هذه السياسة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا. ولقد ركزت الدراسة على المدى الذى يمكن فيه لقائد أمة أن يحدث تغييرا فى سياستها وفى مجريات العمل الوطنى بها عن طريق نشر أفكار ومفاهيم جديدة تقدم صورة جديدة للأمة فى نظر الدول الأخرى تكون بمثابة قاعدة لتحقيق الأهداف المستقبلية.

ولقد كشفت الرسالة الكثير من الجوانب الإعلامية للرئيس السادات بالنسبة للعالم الخارجى منذ توليه الحكم. فقد كان يعتبر أن تكوين صورة مشرقة لمصر فى العالم الخارجى بمثابة ثروة معنوية ومادية يمكن أن يستخدمها إلى حد كبير فى تنفيذ أهدافه الاستراتيجية، وتطبيقا لذلك فقد استهدف بالدرجة الأولى أن يزرع الثقة عند الحكومات الأخرى فى قيادة مصر

وحكومتها وأسلوبها المستقر فى معالجة الأمور التى تهم المجتمع الدولى. وكان يؤمن بضرورة اتباع المنهج العلمى فى السياسة الإعلامية الخارجية. وعندما نتتبع خطب وأحاديث السادات منذ تولى الحكم حتى أبريل ١٩٧٧. نجد أن الخطوط الفكرية والإعلامية واضحة تماما.. بل إنه كثيرا ما كان يلجأ إلى التكرار والتأكيد على فكرة بعينها أكثر من مرة كوسيلة للإقناع حتى ترسخ داخليا وخارجيا. وكثيرا ما كان يقول إنه يضع كل أوراقه على المائدة ولا يخفى واحدة منها تحت المائدة. وهذه الصراحة الإعلامية قد اكسبته احترام الرؤساء والقادة الذين تعامل معهم.. وهذا يتمشى مع منهج الإعلام السياسى الحديث الذى يؤكد أن أسلوب السياسة التقليدية الذى يعتمد على أسلوب المناورات والمؤامرات ومحاولة خداع الخصم قد انتهى مع بداية القرن العشرين. بحيث لم تعد السياسة مهارة فردية للزعيم أو القائد. بل أصبحت علما له فروعه المتعددة المرتبطة بالاقتصاد والاجتماع والثقافة وغير ذلك.. ومن الملامح الثابتة فى سياسة الإعلام الخارجى للسادات أنه كان يركز دائما على توجيه أحاديثه إلى مناطق النفوذ المؤثرة على وضع مصر فى المنطقة. فعندما تولى الحكم كان الاتحاد السوفيتى هو القوة الوحيدة التى تعتمد عليها مصر سياسيا وعسكريا. فى محاولة للتخلص بصفة خاصة من آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧. ولذلك كانت معظم خطبه وأحاديثه وتصريحاته بل زياراته موجهة إلى الاتحاد السوفيتى، وكان السادات يخاطب الاتحاد السوفيتى بنفس الأفكار بل الألفاظ التى يستخدمها القادة السوفيت وذلك بهدف

تدعيم الجسر السياسى والعسكرى القائم بين البلدين فى ذلك الوقت. فبدون مساعدة السوفيت فى تلك الفترة كان التخلص من الاحتلال الإسرائيلى شبه مستحيل.

وظلت هذه السياسة الإعلامية متبعة حتى غيرت حرب أكتوبر موقع مركز الثقل ونقلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحكم امتلاكها لقوة التأثير الوحيدة على إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط. لذلك بدأ السادات منذ أول لقاء له مع مسئول أمريكى، وهو هنرى كيسنجر وزير الخارجية فى ذلك الوقت فى ٩ نوفمبر ١٩٧٣، هذا التحول فى مسار الإعلام الخارجى، فقد بدأ يخاطب الولايات المتحدة بالأسلوب الذى يمكن أن تتفهمه وخاصة بعد الإنجاز العسكرى الذى شهده العالم كله. وأثبتت به مصر قدرتها على تحويل مسار الأحداث لصالحها.

وقد اوضحت الباحثة فى رسالتها أن من الملامح الثابتة الأخرى فى سياسة السادات الإعلامية على المستوى الخارجى الالتزام بالصدق وبكل المبادىء الأخلاقية التى تجعل الطرف الآخر أو الخصم يثق فيما نقوله، ذلك أن الإعلام يمكن أن يتحول إلى بوق أجوف إذا ما فقد القدرة على إقناع المستقبل له.. لذلك كان السادات يصر على الصدق مع النفس والإصرار على الحق مهما كانت النتائج.. ووضوح الرؤية وعدم التأثر بالظروف العابرة. ومن هنا كان الاتساق الفكرى الذى يميز منهج السادات الإعلامى الذى يملك من المرونة ما يمكنه من استيعاب المتغيرات وإدخالها مع الثوابت.. دون مساس بأخلاقيات الصدق مع النفس أو مع الآخرين.

ومن الملامح الأخرى الثابتة لمنهج السادات فى الإعلام لسياسة مصر الخارجية التأكيد على إيمانه العميق بالديمقراطية. فقد لوحظ فى لقاءاته برجال الإعلام الأجانب عدم ضيقه بالأسئلة التى قد يبدو بعضها مدسوسا أو مسموما بهدف استفزازه حتى يبدو بمظهر الزعيم الفاشى الذى لا يقبل الحوار أو المناقشة. لذلك كان السادات يرد بمنتهى الهدوء ورحابة الصدر على مثل هذه الأسئلة. بل يكشف بطريقة دبلوماسية الأهداف الخفية الكامنة وراء مثل هذه الأسئلة. فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مقر الضيافة الأمريكى عام ١٩٧٥. سأله مراسل جريدة ميامى هيرالد تريبيون:

سيدى الرئيس. لقد جئت تطلب مساعدة أمريكا لمصر ضد إسرائيل. مع اعترافك المعلن بأن الصداقة الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تتزعزع. فكيف تطلب من الصديق أن يعادى صديقه من أجل طرف ثالث؟. وكان رد السادات بمنتهى الهدوء والدبلوماسية، فقال:

إننى عندما أتعامل مع أمريكا فأننى أتعامل معها بصفتها قوة عظمى فى عالم اليوم، وتتصرف بوحى من إرادتها ومصلحتها الاستراتيجية، وإننى لا أنكر الصداقة الأمريكية الإسرائيلية التى تكلمت عنها. ولكن مفهومك للصداقة لا يفرقها عن مفهومك للتبعية. فإذا

كنت تقصد أن أمريكا تابعة لإسرائيل ولذلك لا تستطيع أن تتحرك بحرية. فلك الحق فى كل ما تقول. لكننى لا أعتقد أن أمريكا تدور فى فلك إسرائيل. بل العكس تماما. وإننى لا أطلب من أمريكا أن أحل محل إسرائيل فى استرتيجيتها بل

كل ما أطلبه هو النظرة الموضوعية للقضية برمتها. وهذا لا يمكن أن يمس العلاقة الخاصة بين أمريكا وإسرائيل.

ولقد كانت الصداقة الشخصية بين السادات وزعماء العالم الذين تعامل معهم عاملا هاما فى التأثير الإعلامى الإيجابى الذى حظيت به أفكاره واتجاهاته لدى شعوب ودول هؤلاء الزعماء. وكشفت الباحثة فى رسالتها كيف كان السادات يعتقد أن الصداقة هى صمام الأمن الذى يمكن اللجوء إليه إذا وقعت خلافات فى الرأى حول إحدى القضايا المطروحة للبحث أو المفاوضة.

وقد استوعب السادات هذا الدرس من تجربته فى مجلس قيادة الثورة فى أعقاب قيامها. فقد كانت الخلافات حادة وخطيرة بين أعضاء المجلس حول الأسلوب الذى يمكن اتباعه فى حكم مصر. لكن الصداقة القديمة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة كانت بمثابة السياج الذى حافظ على أن تظل هذه الخلافات داخل اجتماعات المجلس

ولم يعرف احد شيئا عن هذه الخلافات حتى أزمة مارس ١٩٥٤. لذلك كان السادات حريصا على أن يجعل من كل زعماء العالم أصدقاء له وخاصة الزعماء الذين لهم تأثير مباشر على قضية الشرق الأوسط. ومن هنا كانت صداقته الوطيدة بالرئيس الأمريكى نيكسون ثم فورد ثم كارتر ثم ريجان. ومن الواضح أن هذه الصداقة قد لعبت دورا عمليا فى تدعيم العلاقات الأمريكية المصرية. وجعلت الشعب الأمريكى نفسه ينظر إلى السادات على أنه صديق حميم وليس مجرد رئيس دولة أجنبية.

ومادامت الصداقة هى الإطار الذى يحيط بالعلاقات السياسية فإن احتمالات

التوتر والتشنج تنخفض إلى أدنى معدل. فعندما تولى السادات الحكم كانت الحملات الإعلامية بين مصر والدول العربية والأجنبية مستعرة. وكانت الحصيلة النهائية لهذه الحملات المتجددة تقطع أواصر الصداقة بين مصر ومختلف دول العالم. ومن الطبيعى أن مصر فى إطار الظروف التى كانت سائدة حينئذ كانت الخاسرة. لذلك اهتم السادات بأن يغير النبرة الإعلامية تمهيدا لعودة الصداقات التى كان يسعى لكسبها. وأصبحت أجهزة الإعلام المصرية تعتمد على التحليل والتقييم أكثر من اعتمادها على الهجوم والتشنج. وكان ذلك إيذانا باعادة الجسور المتهدمة بين مصر والعالم الخارجى: ولم يكن التمهيد الإعلامى عند السادات لإقامة الجسور مع الدول الأخرى قائما على مجرد المجالات الشخصية أو الشكليات الرسمية التى تنهض فيها السفارات وأجهزة وزارة الخارجية بالدور الأكبر. ولكنه كان يعتمد أساسا على دراسة الخلفية الحضارية والثقافية والفكرية للدولة التى يتعامل معها. لذلك سرعان ما تنشأ أرضية مشتركة للمفاوضات والمناقشات التى تدور فى جو من الاتساق الفكرى إلى حد كبير.

فقد كان السادات يحرص على دراسة الخلفية التاريخية ويدعم حواره مع المسئولين بأحداث ومواقف من صميم التاريخ القومى. بحيث يشعر شعب هذه الأمة أنه يشاركه الإعجاب بهذه الحضارة. وهو إعجاب قائم على وعى علمى بالتاريخ والحضارة وليس مجرد المجاملة العابرة.. بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الوعى بالخلفية الثقافية للدول الأخرى كان يسهل للسادات مهمة إيجاد المفاتيح

والمداخل التى تسمى الأوتار الحساسة عند الدولة والشعب على حد سواء، وبالتالى فإن احتمالات نجاح المفاوضات وتدعيم العلاقات تبقى موجودة دائما. فقد أدرك السادات أن الطريق الأسرع للوصول إلى قلب المسئولين والمواطنين هو مشاركتهم الوعى بأمجادهم الحضارية والتاريخية التى تمثل قاعدة مشتركة راسخة للعلاقات الثنائية. ومن أجل تدعيم أواصر هذه الصداقة الدولية كان السادات يحرص على مخاطبة زعماء هذه الدول بلغاتهم كلما أمكن ذلك. فقد استخدم حبه الشخصى لتعلم اللغات الأجنبية فى التقريب بينه وبين هؤلاء المسئولين الذين لابد أن يحرصوا على صداقته عندما يكتشفون حرصه الشخصى على تعلم لغتهم والتحدث بها. وقد فعل ذلك عدة مرات مع المسئولين الألمان مثل فيلى برانت وهيلموت شميت عندما رحب بهما فى مناسبات متعددة بالألمانية. وعندما جاء الرئيس الفرنسى ديستان فى زيارة لمصر ألقى السادات كلمة الترحيب بالفرنسية. وفى استقباله الشاه ألقى كلمة بالفارسية. أيضا قد ساعده التقدير الفائق لقيمة الدور الإعلامى على الإلمام بالملامح الرئيسية التى يمكن أن يتشكل المستقبل على أساسها. وبالتالى كان يبدأ خطه الإعلامى بالتمهيد لمثل هذه الملامح، ونلاحظ هذا بوضوح فى تمهيده الإعلامى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى لم يكن أحد يصدق احتمال قيامها فى ظل الظروف التى كانت سائدة فى ذلك الوقت.

وأوضحت الباحثة نوال الصفتى جوانب أخرى من سياسة السادات الإعلامية فى

المجال الخارجى. وهى ربطه بين صورة مصر الداخلية وسياسته الإعلامية الخارجية. ذلك أن الإعلام المبهر يمكن أن يتحول إلى واجهة براقة سرعان ما يكتشف العالم زيفها إذا لم يكن هناك ما يساندها ويؤكدها على مستوى الجبهة الداخلية، خاصة أننا نعيش فى عالم جعلته وسائل الإعلام عالما صغيرا. ولذلك فهما كان الضجيج الاعلامى صاخبا. فإن الحقيقة الكامنة سرعان ما تتكشف. فلن يصدق العالم زعيما ينادى بالديموقراطية فى إعلامه الخارجى فى حين أنه يكبت الحريات. ومن هنا كان خرص السادات على الممارسة الديموقراطية وتعدد الأحزاب حتى لا تحدث أية فجوة بين إعلامه الخارجى وواقعه الداخلى. كذلك تأكيده المستمر على الحضارة العريقة التى تتمتع بها مصر بصورة متفردة بين دول العالم يؤكد ريادة مصر الحضارية واستمرارها فى ممارسة هذه الحضارة. وذلك حتى يجد لكلامه صدى مؤثرا عند دول الحضارة المعاصرة التى تؤمن كلها بحضارة مصر. ولا شك أن الإعلام الخارجى حينما يركز على القيم الحضارية فإنه لابد أن يكون مؤثرا وخاصة عند الدول المحبة للحضارة. والتى بطبيعة الأمر تتحكم فى مقدرات عالمنا المعاصر.

وكان الصبر أيضا من الثوابت المميزة لمنهج السادات الإعلامى. ويبدو أن الصبر قد اكتسبه من نشأته الريفية وهى البيئة التى كان يفخر بها دائما.

ولم يكن السادات يعلن عن أى خطوة محتملة أو ممكنة إلا إذا كان قادرا على اتخاذها فيما بعد. ولعل ذلك جاء نتيجة

للدرس القاسى الذى تلقاه بسبب ما أسماه سنة الحسم التى افترض أنها ستكون عام ١٩٧١ لحسم قضية الصراع مع إسرائيل. واضطر السادات أن يبتلع وعده بسنة الحسم. وفى نفس الوقت لم يستطع أن يبرر أمام الجمهور عدم تنفيذه لوعده.

ولقد أكدت الرسالة على أن الملامح الثابتة لأى منهج إعلامى لابد أن تتجسد فى مفهوم فكرى يترك بصماته الواضحة عليه. بحيث يسهل التعرف عليه من كل الأطراف المعنية. وبمعنى آخر لابد من نغمة يعزفها رجل الإعلام الماهر ويؤكدها دون أن يلجأ إلى التكرار والرتابة التى يمكن أن تؤدى بالجمهور إلى الملل والانصراف عن مضمون الرسالة. وإذا طبقنا هذا المنهج على السادات كرجل دولة واع بضرورة الدور الذى يلعبه الإعلام. فإننا نجد أن النغمة الرئيسية التى كان يعزفها بلا ملل والتى استطاع أن يلفت بها أنظار العالم هى نغمة السلام. وهى النغمة التى كانت بمثابة الهدف القومى عند السادات. وهو الهدف الذى تدور حوله مواقف رئيس الدولة وتحركاته. وكان الجديد فى هذه النغمة أن العالم تعود من مصر أن يسمع طبول الحرب منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧. وعندما جاء السادات أحال أجهزة الاعلام إلى آلات موسيقية فى أوركسترا واحد يعزف لحن السلام. وبدأ العالم فى الإنصات إلى هذه النغمة الجديدة. لكنه كان يستمع إليها بالكثير من الريبة والشكوك. ذلك أنها كانت تصدر عن طرف منهزم لا يملك سوى السلام أو الاستسلام. وظل هذا الوضع حتى حرب

أكتوبر ١٩٧٣. فبدأ العالم يحترم نغمة السلام الجديدة ويصدقها، لأنه على الرغم من الانتصارات المتتالية التى وقعت فى الأيام العشرة الأولى للمعركة. فإن زهو الانتصار لم ينس السادات نغمة السلام التى عبر عنها فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣. فى حين كانت القوات المسلحة المصرية تحقق أعظم انتصاراتها. لكن السادات أكد أنها حرب ولكن من أجل السلام. ويستمر السادات فى عزف هذه النغمة الجديدة التى تستهوى قلوب وعقول الشعوب.

ولقد أكدت الباحثة على نقطة هامة وهى أن السادات قد تمكن من أن يجعل من نفسه ظاهرة إعلامية فى اتجاه دعم التغييرات التى حدثت بالفعل بناء على مقومات شخصية محددة عنده ووجود مناخ ملائم تمام الملاءمة. هى أنه قام بدور الجهاز الإعلامى المتكامل بالنسبة لسياسة مصر الخارجية. هذه الحقيقة كانت نتيجة حتمية للظروف التى مر بها السادات فى فترة حكمه. فقد كان يعلم جيدا أن قوى العالم الخارجى لا تعير التفاتا كبيرا إلى الأجهزة الإعلامية الموجودة فى داخل الدول النامية بصفة عامة. فهى تعتبرها مجرد صدى باهت لاتجاهات السلطة ولا تضع يدها على كل العوامل المؤثرة فى السياسة الخارجية. بل تقدم أحيانا المعلومات إما مبتورة ملونة وإما محورة لأهداف الاستهلاك الداخلى. ومن هنا كان حرص القوى الكبرى الخارجية على الاعتماد فى سياستها تجاه الدول النامية على ما يدور فى عقل زعماء هذه الدول مباشرة. وقد أدرك السادات هذه الحقيقة. ولذلك جعل من نفسه ظاهرة

إعلامية متحركة من خلال خطبه وتصريحاته وأحاديثه ومؤتمراته الصحفية. حتى يمد القوى الخارجية بالأرضية الإعلامية المشتركة التى يمكن الوقوف عليها مباشرة دون ما حاجة إلى تحليل واستقراء ما تقوله أجهزة الإعلام المحلية. ولا شك أن هذا يوفر الوقت والجهد فى عملية بناء الجسور الإعلامية مع الخارج.

أما مناقشة لجنة الحكم على الرسالة فقد كانت ممتعة. أثراها الأديب والكاتب أنيس منصور. لقد كان الأقرب إلى قلب وعقل السادات. لذلك كشف عند مناقشة الباحثة عن بعض الجوانب التى كانت خافية عنها عند تناولها الجانب الإعلامى للسادات. أما الدكتور سمير حسين عميد كلية الإعلام فقد ساهم بتوجيهاته العلمية القيمة على الشكل والمضمون فى جدية المناقشة ومتعتها. وأما الأستاذ الدكتور محمود نجيب أبو الليل المشرف على البحث.. فهل من حقنا أن نضيف كلمة شكر له لإشرافه على هذا البحث. أو أن الباحثة لها الحق وحدها دون غيرها فى الثناء والشكر لأستاذنا ؟!

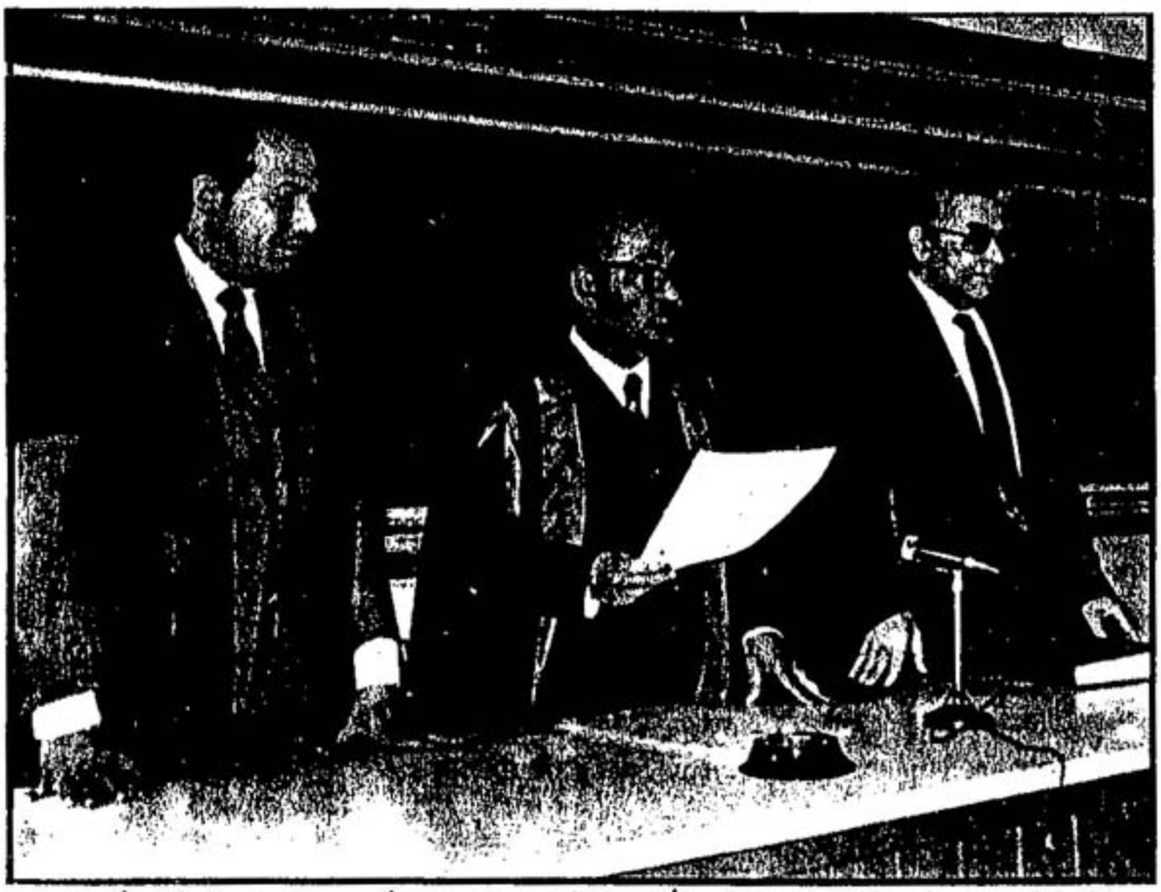

لجنة الحكم على الرسالة.. من اليمين الأديب والكاتب الصحفى أنيس منصور الذى أثرى المناقشة بآرائه وملاحظاته.. وفى الوسط الأستاذ الدكتور محمود نجيب أبو الليل الذى تخرج على يديه أجيال عديدة من حملة الدكتوراه.. ومن الشمال الأستاذ الدكتور سمير حسين عميد كلية الاعلام